اللـــــــــــوح المحفـــــــــــوظ

د. عبدالاله نعمة الشبيب

جامعة الكوفة / كلية الفقه

((بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ))

قراءة الآية :

اختلفت القراء في قراءة قوله : (محفوظ)فقرأ ذلك من قرأه من أهل الحجاز ، أبو جعفر القارئ ، وابن كثير . ومن قرأه من قرّاء الكوفة عاصم والأعمش وحمزة والكسائي ، ومن البصريين أبو عمرو محفوظ خفضا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ . وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل في لوح محفوظ من الزيادة فيه ، والنقصان منه ، عما أثبته الله فيه . وقرأ ذلك من المكّيين ابن مُحَيْصن ، ومن المدنيين نافع محفوظ رفعا ، ردّاً على القرآن ، على أنه مِن نعته وصفته . وكان معنى ذلك على قراءتهما : بل هو قرآن مجيد ، محفوظ من التغيير والتبديل في لوح . والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فَمُصيب . وإذ كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فتأويل القراءة التي يقرؤها على ما بيَّنا[1] .

و مال ابن أبي زمنين في تفسير الآية الى رأي الكوفيين في القراءة وهو الخفض ،حيث قال :

(بل هو قرآن مجيد) كريم على الله (في لوح محفوظ) وهو أمّ الكتاب ، قال محمد : قال أبو عبيد : قرأ نافع : (محفوظ) بالرفع ، وقرأه غيره (محفوظ) بالخفض والخفض في هذا أحبُّ إليَّ ليكون من نعت (اللوح) [2] .

معنى اللوح لغة واصطلاحا :

اللوح في لسان العرب

قال ابن منظور الأفريقي المصري :

"لوح : اللوح : كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب ، الأزهري : اللوح صفيحة من صفائح الخشب ، والكتف إذا كتب عليها سمِّيَتْ لوحا . واللوح : الذي يكتب فيه . واللوح : اللوح المحفوظ . وفي التنزيل : في لوح محفوظ ، يعني مستودع مشيئات الله تعالى ، وإنما هو على المثل . وكل عظم عريض : لوح ، والجمع منهما ألواح ، وألاويح جمع الجمع ، قال سيبويه : لم يكسر هذا الضرب

على أفعل كراهية الضَّم على الواو وقوله عز وجل : وكتبنا له في الألواح ، قال الزجاج : قيل في التفسير إنهما كانا لوحين ، ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح ، ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثر من اثنين . وألواح الجسد : عظامه ما خلا قصب اليدين ، والرجلين ، ويقال : بل الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض . والمِلواح : العظيم الألواح ، قال : يتبعن إثر بازل ملواح وبعير ملواح ورجل ملواح . ولوح الكتف : ما ملس منها عند منقطع غيرها من أعلاها ، وقيل : اللوح الكتف إذا كتب عليها . واللوح ، واللوح أعلى : أخف العطش ، وعمَّ بعضهم به جنس العطش ، وقال اللحياني : اللوح سرعة العطش ."[3]

اللوح في مفردات غريب القرآن:

"لوح : اللوح واحد ألواح السفينة ، قال (وحملناه على ذات ألواح ودسر) وما يكتب فيه من الخشب وغيره ، قوله (في لوح محفوظ) فكيفيته تخفى علينا إلا بقدر ما روى لنا في الاخبار وهو المعبر عنه بالكتاب في قوله : (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) واللوح العطش . ودابة ملواح سريع العطش واللوح أيضا بضم اللام الهواء بين السماء والأرض والأكثرون على فتح اللام إذا أريد به العطش ، وبضمه إذا كان بمعنى الهواء ولا يجوز فيه غير الضم . ولوَّحَه الحرّ غيَّرَه ، ولاح الحر لوحا حصل في اللوح ، وقيل هو مثل لمح . ولاح البرق ، وألاح إذا أومض وألاح بسيفه أشار به."[4]

اللوح في مجمع البحرين

"ل و ح قوله تعالى : (في لوح محفوظ) 85 / 22 قال الشيخ أبو علي : أي محفوظ من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة ، وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ، ومن جره فجعله صفة للوح فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه الملائكة ، وقيل محفوظ عند الله (وهو أم الكتاب ومنه نسخ القرآن والكتب ، وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ) ، وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ."[5]

اللوح في كتب التفسير

جاء في الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:

"الألواح: جمع لوح بالفتح وهو ما يكتب فيه من صحيفة عريضة خشبا أو عظما أو غيرها [6] وعند تفسير قوله تعالى (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) يقول :والإشارة للبعيد بلفظ (تلك) لبيان عظمة هذه الآيات السماوية ، والتعبير بـ (المبين) تأكيد على أن القرآن واضح بنفسه وموضح للحقائق أيضا. وبالرغم من أن بعض المفسرين احتمل أن التعبير بـ القرآن وكتاب مبين إشارة إلى معنيين مستقلين ، وأن " الكتاب المبين " يراد منه اللوح المحفوظ . . . . إلا أن ظاهر الآية يدل على أن كلاهما لبيان حقيقة واحدة ، فالأول في ثوب الألفاظ والتلاوة ، والثاني في ثوب الكتابة والرسم [7] . وهو قول أغلب المفسرين." [8]

وفي تفسير الصافي أن اللوح المحفوظ هو أم الكتاب وأصل الكتب السموية والجامع للكل [9].وليس واحدا منها وأولها [10]كما صرَّح بذلك الملا هادي في شرح الأسماء الحسنى .

أقول : إن تعريف اللوح المحفوظ بالكتاب المبين في أغلب تفاسيرهم يعطينا صورة أن اللوح المحفوظ ليس غامضا بل هو في نهاية الوضوح والبيان مثلما هو في نهاية الإعجاز . يقول السيد الحكيم في علوم القرآن : "كما أنه جاء في آيات كثيرة وصف القرآن بأنه الكتاب المبين ، والقرآن المبين . وهذا ما يؤكد قضية الوضوح في القرآن التي جاءت لتتناسب في كونها بلغة التخاطب نفسها مع القاعدة التي يريد أن يحدثها في التغيير فعلا" .[11]

وأما السيد الطباطبائي في ميزانه فقد قال عند تفسير قوله تعالى : "(وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين) هو اللوح المحفوظ من التغيير الذي يشتمل على تفصيل قضائه سبحانه في خلقه فيحصي كل شئ وقد ذكر في كلامه تعالى بأسماء مختلفة كاللوح المحفوظ وأم الكتاب والكتاب المبين والامام المبين كل منها بعناية خاصة "[12].

اللوح اصطلاحا

وأما المعنى الإصطلاحي للوح فهو على نفس المعنى اللغوي . , في الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:

"لوح – بفتح اللام – : هو الصفحة العريضة التي يكتب عليها ، ويراد باللوح هنا : الصفحة التي كتب فيها القرآن " لكنها ليست كالألواح المتعارفة عندنا . وقد مرت الإشارة اليه قبل قليل.

اللوح المحفوظ في القرآن والأثر

اللوح المحفوظ هو واحد من المركبات القرآنية التي وردت في سورة البروج في الآية الثانية والعشرين منها وهي قوله تعالى: (في لوحٍ محفوظٍ) وقد ورد بصيغة النكرة الموصوفة كما هو ملاحظ وهو بلا شك يتسنَّم البرج النهائي في الكيف والكم،إذ لا تصل اليه الزيادة بل لا زيادة عليه لأنه يعبِّر عن العلم الإلهي ،ولا يصل اليه النقصان لنفس العلة ،ولعل لفظ النكره فيه اشارة لعمق المعنى الذي يقصد منه وخفاؤه في ذات الوقت .

يقول السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " الضمير للكتاب بما انه مشتمل على الآيات الإلهية والمعارف الحقيقية ، وانزاله قرآنا عربيا هو الباسه في مرحلة الانزال لباس القراءة والعربية ، وجعله لفظا متلوا مطابقا لما يتداوله العرب من اللغة كما قال تعالى في موضع آخر : " انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم " الزخرف : 4 . وقوله : " لعلكم تعقلون " من قبيل توسعة الخطاب وتعميمه فان السورة مفتتحة بخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " تلك آيات الكتاب " ، وعلى ذلك يجرى بعد كما في قوله : " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك " الخ . فمعنى الآية – والله أعلم – انا جعلنا هذا الكتاب المشتمل على الآيات في مرحلة النزول ملبسا بلباس اللفظ العربي محلى بحليته ليقع

في معرض التعقل منك ومن قومك أو أمتك ، ولو لم يقلب في وحيه في قالب اللفظ المقرو أو لم يجعل عربيا مبينا لم يعقل قومك ما فيه من اسرار الآيات بل اختص فهمه بك لاختصاصك بوحيه وتعليمه . وفي ذلك دلالة ما على أن لألفاظ الكتاب العزيز من جهة تعينها بالاستناد إلى الوحي وكونها عربية دخلا في ضبط اسرار الآيات وحقائق المعارف ، ولو أنه اوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعناه وكان اللفظ الحاكي له لفظه صلى الله عليه وآله وسلم كما في الأحاديث القدسية مثلا أو ترجم إلى لغة أخرى خفى بعض اسرار آياته البينات عن عقول الناس ولم تنله أيدي تعقلهم وفهمهم ."[13]

وقد ورد لفظ اللوح في صيغة الجمع في ثلاثة مواضع من سورة الأعراف هي:

قوله تعالى: (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) [14]

وقوله تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) [15]

وقوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) [16]

ووردت لفظة الألواح في كثير من الأثر الديني فهذا الدعاء الذي ينقله الطوسي في مصباح المتهجد: (اللهم ! إني أسألك باسمك الذي أنزلته على موسى في الألواح، وباسمك الذي وضعته على السماوات فاستقلَّت وعلى الأرض فاستقرَّت، وعلى الجبال فأرسَت ...الخ الدعاء).[17]

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبدالله (ع): (يا أبا محمد عندنا الصحف التي قال الله صحف ابراهيم وموسى قلت الصحف هي الألواح ؟ قال : نعم)[18] . وإن الألواح كما هي عبارة عن الصحف فقد تصنع من الخشب ومن الذهب أو من سائر المعادن الأخرى، وقد

تختلف الألواح بعضها عن البعض الآخر، فالألواح التي أنزلت على موسى كما هو صريح الآية: (وكتبنا له في الألواح من كل شئ) فأعلمنا أنه لم يكتب له الشئ كله، وقال لعيسى (ولأُبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه) فأعلمنا أنه لم يبيِّن له الامر كله،وقال لمحمد صلى الله عليه وآله (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ)،وقال فأسال عن قوله تعالى (فكفى بالله شهيدا ببني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال والله إيّانا عني، وعلي (ع) أولنا وأفضلنا وأخبرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: ان العلم الذي نزل مع آدم (ع) على حاله عندنا وليس يمضي منا عالم إلا خلَّف من يعلم علمه والعلم نتوارث به. [19]

ومن هنا يتضح أن اللوح المحفوظ هو أرقى علمياً وأكمل وأتمّ من سائر الألواح المنزَّلة على الأنبياء. لأن فيه تفصيلات وتبيينات ما أجمل في الألواح الأخرى.بل إن هذه الكتب المنزلة هي كتب مستنسخة ومجزأة من الكتاب الأصل والأم الذي هو اللوح المحفوظ.

وفي بصائر الدرجات :"حدثنا أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن شعيب الحزاز عن ضريس الكناسي قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو بصير فقال أبو عبد الله عليه السلام ان داود ورث الأنبياء وان سليمان ورث داود وأن محمدا ورث سليمان وما هناك وانا ورثنا محمدا وان عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى فقال له أبو بصير ان هذا لهو العلم فقال يا أبا محمد ليس هذا هو العلم إنما هذا الأثر إنما العلم ما حدث بالليل والنهار يوما بيوم وساعة بساعة ."[20]

وجاء في شرح أصول الكافي : قوله: "(وإن عندنا علم التوراة) ليس هذا نتيجة للسابق بل تعميم بعد تخصيص. قوله: (وتبيان ما في الألواح) أي بيانه مع علله وأسبابه وبراهينه، والمراد بالألواح: التورية والإنجيل والزبور بقرينة تقدم ذكرها، أو ألواح موسى كما يشعر به خبر ضريس، أو صحف إبراهيم وموسى كما يشعر به خبر أبي بصير أو الصحف السماوية كما يشعر به التعريف باللام. قوله: (ليس هذا هو العلم) نفي للحصر المستفاد من كلام السائل المشتمل على التأكيد له من وجوه شتى أو نفي لكماله بالنسبة إلى العلم الذي يحدث له يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة بإلهام الله تعالى أو بتحديث الملك، وإنما كان هذا أكمل من الأول لأن الأول بمنزلة العلم الإجمالي والثاني بمنزلة التفصيلي والتفصيل أكمل من الإجمال، أو لأن الأول بمنزلة الموجودات الظلية، والثاني: بمنزلة الموجودات العينية والموجود العيني أشرف وأكمل من الموجود الظلي، أو لأن الأول يحصل بالإخبار والبيان والثاني يحصل بالمشاهدة والعيان وليس الخبر كالمعاينة "[21]. ولكن هذا الشرح لا يصمد أمام ما جاء في الرواية التي نقلها الشيخ المفيد في كتاب الإختصاص عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عن هشام بن سالم ، عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي عبد الله (ع) كلام قد سمعته من أبى الخطاب فقال : أعرضه علي فقلت يقول : انكم تعلمون الحلال والحرام وفصل ما بين الناس فسكت فلما أردت القيام اخذ بيدي فقال : يا محمد كذا علم القرآن والحلال والحرام يسير في جنب العلم الذي يحدث بالليل والنهار.[22]

وفي كافي الكليني : محمد بن يحيى ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : يا أبا محمد إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئا إلا وقد أعطاه محمدا صلى الله عليه وآله ، قال : وقد أعطى محمدا جميع ما أعطى الأنبياء ، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل : " صحف إبراهيم وموسى " قلت : جعلت فداك هي الألواح [23] ؟ قال : نعم .

الكتابة في الألواح

الكتب السماوية من توراة وانجيل وزبور وصحف وقرآن تختلف كتابتها مكانا وزمانا، فالتوراة مثلا كتبت في السماء على ما جاء في الرواية وهي مكتوبة من قبل الله تعالى ولكن لا بآلة ولا بفعل يشبه فعلنا عند الكتابة فكما أن كلامه الذي يريد أن يوحيه مباشرة ومن قِبَله كما جعله في الشجرة عندما كلَّم موسى (ع) فلعلَّه كذلك يجعل وحيه بالكتابة فيما يشاء كالقلم مثلا كما جاء في كثير

من الروايات فيكتب التوراة أو يأمر الملائكة بالكتابة فيكتبون وحيه أو تحصل الكتابة بأمر (كن فيكون) فإنَّه تعالى شأنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. أما كتابة الوحي القرآني فقد تم في الأرض بعد نزول وحيه بواسطة كتَبَة الوحي من كُتّاب المسلمين، وأما في السماء فكما صرحت الآية الثانية والعشرون من سورة البروج: (بل هو قرآن مجيد.في لوح محفوظ) وكتب بنفس الطرق التي كتبت فيها الألواح التوراتية ؛ لأن كل الأشياء كتبت حسب مفاد الروايات بقلم القدرة ما كان منها وما لم يكن الى يوم القيامة غير أن الفارق بين الكتابتين يظهر بعد النزول في أن الكتابة الفرقانية كما أنها في لوح محفوظ وفي كتاب مكنون عند الله تعالى وبعيدة عن مصادر التخريب والتشويه والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان فهي كذلك محفوظة بعد نزولها بالحفظ الإلهي المنصوص عليه في القرآن(إنا نحن نزلنا الذكر ونحن له لحافظون).أما الكتابة التوراتية فرغم أنها في اللوح المحفوظ حسب مدلول الروايات إلاّ أنها تعرضت الى التحريف والتضييع والزيادة والنقصان بعد نزولها ولا يوجد منها الى يومنا هذا إلاّ ذلك الرَّضراض الذي توراثه أهل بيت النبي عليهم السلام إمامٌ عن إمامٍ. أما ما كان منها في أيدي الناس فأمره لا يُحسد عليه ومثل هذا يقال للإنجيل وللزبور وللصحف الأخرى .

يقول الباقلاني في إعجاز القرآن :" كما أنه يجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة كما قال : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) ، وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) . لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، هو والقرآن المكتوب في مصاحفنا شئ واحد ، لا يختلف ولا يتغير ، وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا ، وأن الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا ، وأن القلم الذي كَتبَ في اللوح المحفوظ غير أقلامنا . وكذلك ما اختلفَ وغايرَ غيرَه ، واختص بمكان دون مكان ، وزمان دون زمان فهو مخلوقٌ مربوبٌ ، وكلُّ ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير."[24]

هل أن اللوح مُحدَث أم ليس بِمُحدَث ؟

كلّ شيء غير الله فهو محدث واللوح واحد من تلك الأشياء التي هي ليست الذات المقدسة لله عز وجل قطعا فاللوح محدث، وعلى هذا القول ذهب علماؤنا ومتكلمونا فقد صرح العلامة الحلي في الرسالة السعدية بأنه محدث. [25] ، وفي الرواية المنقولة عن رسول الله (ص) ما يشير الى ذلك ، قال مقاتل بن سليمان في تفسير قوله تعالى :

(بل الذين كفروا في تكذيب) يقول : لكن يا محمد الذين كفروا لا يؤمنون ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقرأ عليهم سأله رجل من جلسائه عن علم الله عز وجل في عباده شئ بدا له من بعدما خلقهم ، أو كان قبل أن يخلقوا ؟ فأنزل الله عز وجل ، (والله من ورائهم محيط) (بل هو) يعنى لكن هو (قرءان مجيد) يقول : هو قرآن مجيد ، يقول : هو كتاب مجيد (

في لوح محفوظ) قبل أن يخلقوا ، وأن الله عز وجل قد فرغ من علم عباده ، وعلم ما يعملون قبل أن يخلقهم ، ولم يجبرهم على المعصية .[26]

وفي تاريخ الطبري : (إنه لقرآن مجيد في لوح محفوظ) " قال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ولا يحاط الا بمخلوق .[27]

وقد مرَّت الإشارة الى هذا المفاد في ذيل ما نقلناه عن الباقلاني قبل قليل فراجع .وعن الطبري ايضا في تاريخه.

أيهما أعظم الإسم الأعظم أم اللوح المحفوظ؟

للإجابة عن هذا السؤال نحتاج الى قراءة في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي لدعاء ورد فيه عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) يُدعى به بعد الإنتهاء من صلاة خاصة بأمير المؤمنين علي(ع) من أربع ركعات في كل ركعة الفاتحة وخمسون مرة سورة التوحيد ثم يقرأ بعد الإنتهاء منها هذا الدعاء الذي هو محل شاهدنا في الإجابة عن السؤال وهذا هو:

(... وأسألك باسمك المكتوب المكنون الأعز الأكرم الأجل الأكبر الأعظم الذي تحبه وترضى عمَّن دعاك به وتجيب دعوته، ولا تحرم سائلك به بذلك الإسم، وأسألك بكل اسم هو لك طيب مبارك في التورية والإنجيل والزبور والفرقان وبكل اسم هو لك في اللوح المحفوظ، وأسألك باسمك العظيم الذي أصغر حرف منه أعظم من السماوات والأرضين والجبال وكل شئ خلقه الله، وأسألك بكل اسم اصطفيته من علمك لنفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك وأسألك باسمك الذي... دعاك به الذي عنده علم من الكتاب فأجبته، بذلك الاسم أدعوك وأسألك به، وأسألك باسمك الذي دعاك به حملة عرشك فاستقرت أقدامهم وحمَّلتهم عرشك،بذلك الاسم يا الله الذي لا يعلمه مَلَك مقرَّب ولا حامل عرشك ولا كرسيك إلا من علَّمته ذلك، وأسألك باسمك الذي دعاك به محمد صلواتك عليه وآله الطاهرين الطيبين الأخيار وبحقِّ محمد وآل محمد صلِّ عليهم أجمعين، واقضِ حاجتي، وامنن عليَّ بالمغفرة والرحمة والرزق الحلال الطيب الواسع والصحة والعافية والسلامة في نفسي وديني وأهلي ومالي وإخواني وعشيرتي إنك على كل شئ قدير) [28]

فقد اتضح عند قراءته أن أصغر حرف من اسم الله العظيم هو أعظم من السماوات والأرضين والجبال وكل شئ خلقه الله، ولما كان اللوح مخلوقاً للقرآن المجيد وسائر الصحف والكتب والألواح الأخرى فالإسم الأعظم إذن أعظم منه قطعا لأن الغاية عادة أعظم من الوسيلة. ولكن قد يقال كيف يحفظ القرآن الذي يتضمن فيما يتضمن الإسم الأعظم لله تعالى ذكره في مخلوق أقل منه عظمة ؟ قلنا إن اللوح لم يلحظ فيه وهو يقارن القرآن أو كونه متضمنا للإسم الأعظم مقطعا [29]على ما جاء في رواية ثواب الأعمال التي نقلها تفسير نور الثقلين إلا كونه محفوظا بحفظ الله تعالى ومكنونا في سر الله وهذا المقدار هو الذي يجعله لائقا وأهلا أن يحمل القرآن

العظيم والإسم العظيم ويصبح ظرفا لهما،ولأن القرآن كمخلوق لا يحتاج غير هذه الحاجة راحت الإرادة الإلهية تحققها له، لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

ثم إن حفظه فيما بعد النزول يختلف قطعا عن حفظه قبل النزول إذ حفظه بعد النزول كان عبر الأمر بحفظه في الصدور وحفظه في السطور بالإضافة الى تعهد المولى عز وجل لنبيّه بحفظه وعدم نسيانه حيث قال تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) وقال تعالى: (سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) والترغيب فيه عبر ما يستحق حافظه من الدرجات والثواب أو عبر القَسَم بالملائكة لقوله تعالى (فالتالياتِ ذِكرا) التي تتلو القرآن واحتمال بقاء حِفظه جملة على الأقلّ، ومدارسة جبرئيل النبي في القرآن لأجل حفظه، وإلهامه إياه إلهاما عند الحاجة الى تبليغه وغير ذلك من طرق الحفاظ عليه وحفظه.

ثم إن اللوح في الآية على هذا المعنى حقيقي وليس مجازيا لأن الذي هو جدير بحمل القرآن هو هذا اللوح الإلهي لا المعهود في ذهن بني الإنسان إذ ما أسرع التلف والخراب والفقدان والحرق والعدوان وما أكثره الى القرآن في زمننا اليوم من قبل الغرب الكافر، وقيد الحفظ والفهم العرفي للآية يؤكدان المعنى الحقيقي لا المجازي. وقد شاءت قدرته أن يسطر كتابه الكريم وقرآنه المجيد في هذا اللوح المحفوظ بقدرته، فاللوح إنما احيط بالحفظ لأجل أن يكون مصدرا أمينا وأصلا حريزا لكلام الله تعالى ترجع اليه الملائكة للإطلاع على ما يكون وسيكون وعلى ما يؤدونه للأنبياء من وحي وما يخصهم من أمر أو عمل يعملونه.

واعلم أيها القاريء العزيز إن مسألة اللوح المحفوظ بتفسيرها بأم الكتاب الذي هو عند الله تعني أنه لا تناله إرادة غيره في الزيادة والمحو والإثبات والإعطاء والحرمان ولهذا ورد الطلب منه تعالى كما في رواية التهذيب للشيخ الطوسي ما يدل على إعمال هذه الإرادة من قبله الى ما شاء وحيث شاء: يا ذا المن لا منَّ عليك ، يا ذا الطول ، لا إله إلا أنت ، ظهر اللاجين ، ومأمن الخائفين ، وجار المستجيرين ، إن كان في أم الكتاب عندك إني شقي ، أو محروم ، أو مقتر علي في رزقي فامح من أم الكتاب شقائي وحرماني واقتار رزقي ، واكتبني عندك سعيدا ، موفقا للخير ، موسعا علي في رزقي ، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل صلى الله عليه وآله " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " وقلت : " و رحمتي وسعت كل شئ " ، وأنا شئ ، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآل محمد " [30] .ونظيره أدعية كثيرة في هذا الصدد . من أراد الزيادة فليراجع مضانها .

أقول : وهذه النحو من التصرف المستمر والإعمال الدائم يبطل المقولة التي يعتقد بها اليهود الذين يرون أن الله عندما خلق الخلق فرغ من الامر ورفع يده عنهم .إذن فكرة اللوح المحفوظ على ما فيها من الخفاء والحفظ الخاص لا تعني البتة أنها تتوافق مع فكرة اليهود وعقيدتهم .

كيف نفسر الآية (في لوحٍ محفوظٍ)؟

لا شك أن الذي يطالع كتب التفسير يجد أن التفسير في أكثرها هو: بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها [31] وله عند المفسرين عدة مسالك ابتداء من مسلك الصحابة كابن عباس وعبد الله بن عمر وأُبي وغيرهم والتابعين كمجاهد وقتادة وابن أبي ليلى والشعبي والسدي وغيرهم الذين كانوا يفسرون القرآن من خلال بيان ما يرتبط من الآيات بجهاتها الأدبية وشأن النزول، وقليل من الاستدلال بآية على آية ، وكذلك قليل من التفسير بالروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القصص ومعارف المبدء والمعاد وغيرها ولم يزيدوا على ذلك إلا في مقدار الإعتماد على الروايات حيث أن التابعين زادوا من التفسير بالروايات، (وبينها روايات دسَّها اليهود أو غيرهم)، فأوردوها في القصص والمعارف الراجعة إلى الخلقة كابتداء السماوات وتكوين الأرض والبحار وإرم شداد وعثرات الأنبياء وتحريف الكتاب وأشياء أخر من هذا النوع، وإن كان يوجد بعض ذلك في المأثور عن الصحابة من التفسير والبحث. [32] .وعلى هذا الضوء ننقل بعض تفاسير هاتين المرحلتين أو هذين المسلكين في التفسير لهذه الآية ضمن المنهج الذي اعتمدوه في تفسيرهم :

1) عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون) فقال: إن أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، ثم خلق الألواح فكتب الدنيا وما يكون فيها حتى تفنى، من خلقٍ مخلوقٍ، وعملٍ معمولٍ، من برٍّ أو فُجور وما كان من رزق حلال أو حرام، وما كان من رطب ويابس...الخ الرواية [33]

2) عن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ن والقلم وما يسطرون) قال: لوح من نور، وقلم من نور: يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة[34] فقد فسَّر النون باللوح النوراني.

3) الاختصاص : سأل ابن سلام النبي صلى الله عليه وآله عن (ن والقلم) قال : النون اللوح المحفوظ ، والقلم نور ساطع وذلك قوله (ن . والقلم وما يسطرون) قال : صدقتَ يا محمّد .[35]

4) عن ابن عباس في قوله (لوح محفوظ) قال: أخبرت أنه لوح واحد فيه الذكر، وأن ذلك اللوح من نور، وأنه مسيرة ثلاثمائة سنة. [36]

5) عن ابن عباس، قال: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق:اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة[37]

6) قوله (في لوح محفوظ) عن التغيير والتبديل والنقصان والزيادة . وقال مجاهد : المحفوظ أم الكتاب ، وقيل : انه اللوح المحفوظ الذي كتب الله جميع ما كان ويكون فيه – ذكره أنس بن مالك – أي كأنه بما ضمن الله من حفظه في لوح محفوظ ومن رفع (محفوظ) جعله صفة القرآن . ومن قرأه بالخفض جعله صفة اللوح.[38]

7) وعلى قول ابن عباس: "إن اللوح المحفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ! ويبدو أن اللوح المحفوظ ، هو " علم الله " الذي يملأ الشرق والغرب ، ومُصانٌ من أي اختلاق أو تحريف . نعم ، فالقرآن من علم المطلق ، وما فيه يشهد على أنه ليس نتيجة إشراقة عقلية في عقل بشر ، ولا هو بنتاج الشياطين . ويحتمل أن يكون هو المقصود به " أم الكتاب " و " كتاب مبين " الواردان في الآية (39) من سورة الرعد : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، والآية (59) من سورة الأنعام : (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) . علما بأن تعبير (لوح محفوظ) لم يرد في القرآن إلا في هذا الموضع فقط "[39].

8) حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في لوح قال : في أم الكتاب .[40]

9) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في لوح محفوظ عند الله .[41]

10) وقال آخرون : إنما قيل محفوظ ، لأنه في جبهة إسرافيل . ذكر من قال ذلك : حدثنا عمرو بن علي ، قال : سمعت قرة بن سليمان ، قال : ثنا حرب بن سريج ، قال : ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، في قوله : بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال : إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ في جبهة إسرافيل .[42]

11) وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى جعل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء .[43]

12) وروي عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال حدثني فرقد في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال هو صدر المؤمنين وقال قتادة في اللوح المحفوظ عند الله تعالى .[44]

أقول : إن من قدر اللوح المحفوظ سواء بتقدير مكاني كما جاء في بعض الروايات أو بتقدير زماني كما جاء في بعضها يتناقض مع من فسر اللوح بعلم الله إذ علم الله لا يصح تقديره بأي تقدير إلا باللامتناهي .ولكن بما أن اللوح من المخلوقات كما هو مفاد بعض الروايات المتقدمة فتفسيره بماهو مقدر هو الصحيح وإن كان التقدير مختلفا في الروايات المفسرة . والأصح بنظري هو ما انتهى اليه قول من احتمل تفسيره بأم الكتاب والكتاب المبين منتهجا النهج الموضوعي في التفسير بالإضافة الى انسجامه مع قوله تعالى : (بل هو قرآن مجيد).وإن كان التفسير الروائي المنقول عن رسول الله (ص) : يجري هذا المجرى حيث فسَّر اللوح بقوله تعالى : (ن) غير أن هذا التفسير يضعفه تفسير النون بالدواة مرة كما في الرواية المتقدمة الأولى عن ابن عباس، ومرة بنهر في الجنة كما في رواية علل الشرايع للشيخ الصدوق وفي كتاب معاني الأخبار أن المداد من نور ، وأن اللوح لوح من نور في نفس الرواية [45].

منهج المحدّثين في تفسير الآية

أما منهج المحدثين، في تفسير الآية فيقتصر على الرواية عن السلف من الصحابة والتابعين وقد ساروا وجدوا في هذا السير حيث ما يسير بهم المأثور ووقفوا فيمالم يؤثر فيه شئ ولم يظهر المعنى ظهورا لا يحتاج إلى البحث أخذاً بقوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)[46]

يقول السيد الطباطبائي بعد أن توضَّح منهجهم في العبارات الآنفة المذكورة في ميزانه : وقد أخطأوا في ذلك فانَّ الله سبحانه لم يبطل حجة العقل في كتابه، وكيف يعقل ذلك وحجيته انما تثبت به ! ولم يجعل حجية في أقوال الصحابة والتابعين وانظارهم على اختلافها الفاحش، ولم يدع إلى السفسطة بتسليم المتناقضات والمتنافيات من الأقوال، ولم يندب الا إلى التدبر في آياته، فرفع به أي اختلاف يترائى منها، وجعله هدى ونورا وتبيانا لكل شئ، فما بال النور يستنير بنور غيره ! وما شأن الهدى يهتدى بهداية سواه ! وكيف يتبين ما هو تبيان كل شئ بشئ دون نفسه !.[47]

اللوح في كتب تفسير المحدثين ومجامعهم الحديثية

الصدوق ومجامعه الحديثية :

1) الاختصاص: سأل ابن سلام النبي صلى الله عليه وآله عن (ن.والقلم) قال: النون اللوح المحفوظ[48]

2) العلل: عن أبيه، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن النوفلي، عن علي بن داود اليعقوبي، عن الحسن بن مقاتل، عمن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم، فقال فيما قال: لم يختلف فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أن الله عز وجل أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام [49].

3) العقائد للصدوق: اعتقادنا في نزول الوحي من عند الله عز وجل أن بين عيني إسرافيل لوحاً، فإذا أراد الله سبحانه أن يتكلم بالوحي ضرب الله ذلك اللوح جبين إسرافيل، فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء[50]

4) قال الشيخ أبو جعفر (رض) : اعتقادنا في اللوح والقلم أنهما ملكان.[51]

رد المفيد على بعض هذه الروايات والإعتقادات :

قال الشيخ المفيد (ره): اللوح كتاب الله كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) فاللوح هو الذكر والقلم هو الشئ الذي أحدث الله به الكتاب في اللوح وجعل اللوح أصلا لتعرف الملائكة منه ما يكون، فإذا أراد الله تعالى أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء بذلك أمرهم بالاطلاع في اللوح، فحفظوا منه ما يؤدونه إلى من أرسلوا إليه، وعرفوا منه ما يعملون ولقد جاءت بذلك آثار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن

الأئمة عليهم السلام فأما من ذهب إلى أن اللوح والقلم ملكان فقد أبعد بذلك ونأى عن الحق، إذ الملائكة لا تسمى ألواحا ولا أقلاما ولا يعرف في اللغة اسم ملك ولا بشر لوح ولا قلم. [52]

أقول:إن تسمية اللوح بكتاب الله تصح من باب تسمية المحل باسم الحال مجازا وهو شايع في كلام البلغاء، من قبيل تسمية الكنيسة بالصلاة وعدّ لسان الكذاب خطيئة وتسمية القلب بالسر أو من قبيل تسمية بلدة شعيب بالأيكة أو تسمية العقل بالنفس. أو تصح من قبيل النقل بعد هجران التسمية باللوح غير أن التسمية باللوح لم تهجر الى وقت نزول الآية وكيف يهجر ما ينزل به الوحي ؟ ثم أن المجاز أو النقل إنما يصار إليهما إذا لم يلزم التكرار وهو حاصل إذ القرآن المجيد هو كتاب الله واللوح على ما يعتقده الشيخ المفيد هو كتاب الله فيصبح معنى الآية هكذا بل هو كتاب الله النازل المحفوظ في كتاب الله الأصل ، ولا يلزم من ذلك أن يكون الظرف مظروفا والمظروف ظرفا لأن أحدهما فرع والآخر أصل . ذلك لأن المقصود من الظرف هو اللوح المحفوظ الذي لا يطرأ عليه الزيادة والنقصان والمظروف هو القرآن المقروء والمتلو والنازل على نبينا محمد (ص) .

وفي الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي عند تفسيره لقوله تعالى : "(بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) البروج – 22 يقول (ره) : "وهذا اللوح إنما كان محفوظا لحفظه من ورود التغيّر عليه ، ومن المعلوم إن القرآن المنزل تدريجا لا يخلو عن ناسخ ومنسوخ وعن التدريج الذي هو نحو من التبدل ، فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن وحكمه الخالي عن التفصيل أمر وراء هذا المنزل ، وإنما هذا بمنزله اللباس لذاك . ثم إن هذا المعنى أعني :كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين – ونحن نسميه بحقيقة الكتاب – بمنزلة اللباس من المتلبس وبمنزلة المثال من الحقيقة وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام هو المصحح لان يطلق القرآن أحيانا على أصل الكتاب كما في قوله تعالى : "بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ ".[53]

تفسير علي بن إبراهيم:

قال علي بن إبراهيم في قوله: " (بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ) قال: اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على العرش ، وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلم الربّ جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل، فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل (عليه السلام) "

والقمي أيضا قال عن الصادق (عليه السلام) قال : "بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل نظرة قِبَل السماء إلى أن قال قال جبرئيل (عليه السلام) ان هذا إسرافيل حاجب الرب وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقاه إلينا نسعى به في السماوات والأرض ."

والقمي قال: اللوح له طرفان طرف على يمين العرش وطرف على جبين إسرافيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح فيوحى بما في اللوح إلى جبرئيل .[54]

أقول: والروايتان هنا تذكران أن لإسرافيل جبينا وهو من نور لأن الملائكة على حد صراحة بعض الروايات خلقوا من نور العرش وفي أخرى من نور الحجاب أي من حجاب النور فإذا اراد الله الوحي الى رسله يحرك النور الذي في اللوح بل يحرك اللوح الذي هو من نور فيضرب نوره النور الذي في جبين اسرافيل وهذه الحركة النورية تنعكس على شكل التفاتة من اسرافيل الى هذا النور الأقدس صوب الوحي المثبت في اللوح فيحفظه ويبلغ به رسل الله .وهذه الحركة النورية تفترض أن الوحي السماوي ليس هو وحي آخر يختلف عن الوحي الأرضي ما دام النور يمر عبر ذات السلك النوري عبر الملك جبرئيل وعبر القرآن وانتهاء بمحمد الحبيب وورثته الأطهار ، قال تعالى : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) (عبس : 13-16)

وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا). وروي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في الآية : " البرهان محمد (صلى الله عليه وآله) والنور علي (عليه السلام) "

وقال تعالى : (واتبعوا النور الذي أنزل معه). قال الإمام الصادق (عليه السلام) في الآية : " النور في هذا الموضع أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) " . وقريب منه عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : " النور علي (عليه السلام) " . وقال تعالى : (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا). فعن الإمام الباقر (عليه السلام) : " النور والله الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة هم والله نور الله الذي أنزل ، هم والله نور الله في السماوات والأرض ". وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال : " والإمامة هي النور وذلك قوله عز وجل (آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) قال : النور هو الامام " وروايات عالم الأنوار تحدثنا الأخبار المستفيضة ان أهل بيت محمد صلوات الله عليهم كانوا أنوارا حول عرش الله قبل أن يخلق الخلق جميعا حتى الملائكة ، واليك بعضها : سئل الإمام الصادق (عليه السلام) ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ؟ قال (عليه السلام) : "كنا أنوارا حول عرش الله نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله الملائكة فقال لهم : سبحوا ، فقالوا : يا ربنا لا علم لنا . فقال لنا : سبحوا ، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ، إلا أن خلقنا من نور الله " . وفي الزيارة الجامعة المشهورة : " خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محدقين حتى منَّ علينا بكم ، فجعلكم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه . . . " [55]

القمي : قال : عن الصادق (عليه السلام) قال :" بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس وعنده جبرئيل (عليه السلام) إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء . إلى أن قال : قال جبرئيل (عليه السلام) : إن هذا إسرافيل حاجب الرب وأقرب خلق الله منه ، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء ، فإذا تكلَّم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ، ثم ألقاه إلينا نسعى به في السماوات والأرض."[56]

تفسير نور الثقلين

وجاء في تفسير نور الثقلين عن كتاب معاني الأخبار باسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام : "واما " ن " فهو نهر في الجنة قال الله عز وجل اجمد فجمد فصار مدادا ، ثم قال عز وجل للقلم : اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور ، قال سفيان : فقلت له : يا بن رسول الله بين لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان وعلمني مما علمك الله فقال : يا بن سعيد لولا انك أهل للجواب ما أجبتك ، فنون ملك يؤدى إلى القلم وهو ملك ، والقلم يؤدى إلى اللوح وهو ملك ، واللوح يؤدى إلى إسرافيل ، وإسرافيل يؤدى إلى ميكائيل ، وميكائيل يؤدى إلى جبرئيل ، و جبرئيل يؤدى إلى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، قال قال لي : قم يا سفيان فلا آمن عليك ."[57]

وعن تفسير علي بن إبراهيم حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن " ن والقلم " قال : إن الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ، ثم قال لنهر في الجنة : كن مدادا فجمد النهر وكانت أشد بياضا من الثلج وأحلى من الشهد ، ثم قال للقلم : اكتب قال : يا رب ما اكتب ؟ قال : اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم في رق أشد بياضا من الفضة وأصفى من الياقوت ، ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبدا ، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها أو لستم عربا ؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه : انسخ ذلك الكتاب ، أوليس انما ينسخ من كتاب آخر من الأصل ، وهو قوله : انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون "[58]

أقول : وما أفاده الشيخ المفيد آنفا يكفي في الرد حيث قال: فأما من ذهب إلى أن اللوح والقلم ملكان فقد أبعد بذلك ونأى عن الحق، إذ الملائكة لا تسمى ألواحا ولا أقلاما ولا يعرف في اللغة اسم ملك ولا بشر لوح ولا قلم. [59] إلا أن العلامة المجلسي يجمع بين قول الصدوق والمفيد بهكذا بيان :

الصدوق – ره – تبع فيما ذكره الرواية ، فلا اعتراض عليه ، مع أنه لا تنافي بين ما ذكر المفيد وبين ذلك ، إذ يمكن كونهما ملكين ومع ذلك يكون أحدهما آلة النقش ، والآخر منقوشا فيه ، ويحتمل أيضا أن يكون المراد بكونهما ملكين كون حامليهما ملكين مجازا . ولعل الايمان بمثل ذلك على الاجمال أسلم من الخطاء والضلال .[60]

ولكن ماذا يقول العلامة المجلسي فيما إذا كان السجل مَلَكا وأن هاروت وماروت من أعوانه [61]كما هي الرواية التي ينقلها السيد مصطفى الخميني في تفسير القرآن الكريم عن ابن أبي حاتم بسنده عن معروف –يعني ابن خربوذ المكي – عمَّن سمع ابا جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) ولا نستغرب ذلك ولا نقول ما قاله المفيد بعد كون الرواية فيها مجهول .

المنهج الكلامي والعقلي والفلسفي في تفسير الآية :

1)جاء في تفسير الميزان للطباطبائي : "أما المتكلمون فقد دعتهم الأقوال المذهبية على اختلافها أن يسيروا في التفسير على ما يوافق مذاهبهم بأخذ ما وافق وتأويل ما خالف، على حسب ما يجوزه قول المذهب. واختيار المذاهب الخاصة واتخاذ المسالك والآراء المخصوصة وان كان معلولا لاختلاف الانظار العلمية أو لشئ آخر كالتقاليد والعصبيات القومية، وليس هيهنا محل الاشتغال بذلك، الا ان هذا الطريق من البحث أحرى به أن يسمى تطبيقا لا تفسيرا ففرق بين ان يقول الباحث عن معنى آية من الآيات: ما ذا يقول القرآن ؟ أو يقول: ما ذا يجب ان نحمل عليه الآية ؟ فان القول الأول يوجب ان ينسى كل أمر نظري عند البحث، وان يتكى على ما ليس بنظري، والثاني يوجب وضع النظريات في المسألة وتسليمها وبناء البحث عليها، ومن المعلوم ان هذا النحو من البحث في الكلام ليس بحثا عن معناه في نفسه ." (62)

2) جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وهو ينقل ما يفصح عن شناعات المدرسة الكلامية. "أخبرنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي ، حدثنا أحمد بن سلمان النجاد قال : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبو هاشم – زياد بن أيوب – حدثنا سعيد بن عامر قال : سمعت أبا بحر البكراوي قال : قال رجل لعمرو بن عبيد – وقرأ عنده هذه الآية : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) (البروج 21 – 22) – فقال له ، أخبرني عن (تبت يدا أبي لهب) كانت في اللوح المحفوظ ؟ فقال : ليس هكذا كانت ، قال وكيف كانت ؟ فقال : تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب ، فقال له الرجل : هكذا ينبغي أن تقرأ إذا قمنا إلى الصلاة ، فغضب عمرو . فتركه حتى سكن ، ثم قال له : يا أبا عثمان ، أخبرني عن (تبت يدا أبي لهب) كانت في اللوح المحفوظ ؟ فقال ليس هكذا كانت . قال فكيف كانت ؟ قال : تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب ..."(63)

3) جاء في نور الأفهام في علم الكلام للسيد حسن اللواساني : "إن التكوينيات المكتومة عن الخلائق على قسمين : فقسم منها ما هو مخزون علمه في نفسه المقدسة ، واستأثر به لذاته العليا خاصة فقط ، لمصالح خفية في ذلك ، ولم يعرف به أحدا من خليقته ، ولم يطلع عليه مخلوق من بريته ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، نظير علمه بالساعة ، بمعنى قيام القيامة الكبرى ، والبعث والنشور يوم الطامة العظمى أو بمعنى قيام القيامة الصغرى في الدنيا ، بظهور الحجة العليا الذي هو خاتم الأوصياء ، والثاني عشر من خلفاء خاتم الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، وذلك قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) إلى قوله سبحانه (يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) . وكذا قوله جل وعلا في النازعات : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها). ونظير ذلك علمه عز وجل بأربعة أمور أخر قد قرنها بعلمه بالساعة في قوله عز من قائل في سورة لقمان : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) . وكذا قوله عز وجل في سورة الرعد : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) . وأمثالها مما تعلق به العلم الأزلي القديم ، المتحد مع الذات المقدسة بنحو العينية

الحقيقية ، والدقة التامة العقلية ، وهو الذي لا يعقل فيه التغير والتبدل أبدا ، ولا يؤثر فيه شيء من الدعاء والصدقة وأمثالهما من الطاعات ، أو المعاصي أصلا . وذلك نظير علمه سبحانه بالآجال الحتمية على ما صرح به في آيات عديدة كقوله سبحانه : (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وأمثالهما . وبالجملة ، فهذا القسم من العلم المختص بذاته المقدسة هو المشار إليه في آيات كثيرة ، نحو قوله تعالى في سورة الأنعام : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) وفي سورة الكهف : (له غيب السماوات والأرض) . وفي سورتي النحل وهود : (ولله غيب السماوات والأرض) . وفي سورة النمل : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) . إلى غير ذلك من نظائرها ، وأن المثبَّت في هذا القسم من علمه سبحانه وهو الذات المقدسة ، هو المعبر عنه باللوح المحفوظ أو بأم الكتاب في قوله عز وعلا في سورة البروج : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) . وفي سورة الرعد : (وعنده أم الكتاب) بعد قوله العزيز : (يمحو الله ما يشاء ويثبت) . وأما القسم الآخر من العلم المكتوم الذي اقتضت المصالح الواقعية إبداءه لبعض الخواص من الأنبياء والأولياء وإخبارهم به بالوحي أو بالإلهام : فهو أيضا على قسمين : فإن منها ما هو موافق لما في اللوح المحفوظ ، ويسمى بالأمر الحتمي المنجز ، وربما يوحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه يلهم الوصي (عليه السلام) بكونه كذلك ، وهم يخبرون غيرهم بإذن من الله أن الأمر الكذائي الذي أخبر بوقوعه أمر حتمي منجز لابد من وقوعه ، من غير تبديل ولا تغيير . نظير ما أخبروا عن فتنة الدجال وخروج السفياني وظهور المهدي (عليه السلام) ، وأمثالها بطريق الحتم والتنجز ، وكذا بعض فتن آخر الزمان بحيث لا يغيرها شيء من الدعاء وأمثاله من المغيرات ، ومنها ما ليس كذلك .. "[64]

4) يقول الشيخ السبحاني في كتابه أضواء على عقائد الشيعة الإمامية : "فاعلم : أن المراد من البداء في مقام الإثبات هو وقوع التغير في بعض مظاهر علمه سبحانه ، فإن لعلمه سبحانه مظاهر ، منها : ما لا يقبل التغيير ، ومنها ما يقبل ذلك . أما الأول : فهو المعبر عنه بـ " اللوح المحفوظ " تارة وبـ " أم الكتاب " أخرى ، قال سبحانه : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) . وقوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) . وقال سبحانه : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) . فاللوح المحفوظ وأم الكتاب يمكن التعبير عنه بأنه ذلك الكتاب الذي كتب فيه ما يصيب الإنسان طيلة حياته من بلايا وفتن ونعيم وسرور بشكل لا يمكن أن يتطرق إليها المحو والإثبات قدر شعرة ، ولأجل ذلك لو تمكن الإنسان أن يتصل به ، لوقف على الحوادث على ما هي عليه بلا خطأ ولا تخلف . أما الثاني : فهو لوح المحو والإثبات الذي أشار إليه سبحانه بقوله : (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)"[65]

مظاهر علمه سبحانه.

يقول الشيخ السبحاني في الالهيات: " إن الذكر الحكيم يذكر لعلمه سبحانه مظاهر عبَّر عنها تارة : باللوح المحفوظ ، وأخرى بالكتاب المسطور ، وثالثة بالكتاب المبين ، ورابعة بالكتاب المكنون ، وخامسة بالكتاب الحفيظ ، وسادسة بالكتاب المؤجل ، وسابعة بالكتاب ، وثامنة بالإمام المبين ، وتاسعة بأم الكتاب . وعاشرة بلوح المحو والإثبات . فإلى اللوح المحفوظ أشار سبحانه بقوله : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) ، وإلى الكتاب المسطور بقوله : (وكتاب مسطور في رق منشور) . وإلى الكتاب المبين بقوله : (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) . وإلى الكتاب المكنون بقوله : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) . وإلى الكتاب الحفيظ بقوله : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ). وإلى الكتاب المؤجل بقوله : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) . وإلى الكتاب بقوله : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين). وإلى الإمام المبين بقوله : (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) . وإلى أم الكتاب بقوله : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) . وإلى لوح المحو والإثبات بقوله : (يمحو الله ما يشاء ويثبت) . وقد اكتفينا في الإشارة إلى كل كتاب بآية واحدة مع أن بعض هذه الكتب وردت الإشارة إليها في آيات كثيرة . ثم إن المفسرين اختلفوا في حقيقة هذه الكتب وخصوصياتها فمن قائل بتجردها عن المادة والمادية حتى يصح أن تعد مظاهر لعلمه غير المتناهي . ومن قائل بكونها ألواحا وكتبا مادية سطرت فيها الأشياء وأعمارها وأوقاتها على وجه الرمز . ولا يمكن الركون إلى هذين القولين بل يجب الإيمان بها وتحري تفسيرها عن طريق الكتاب والسنة الصحيحة."(66)

وتطرق الحافظ البرسي مثلا الى تفسير الآية محل البحث عند تفسيره (الكتاب الحفيظ) في قوله تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) قال:"والكتاب الحفيظ ، هو الولي وعلمه عنده ؛ وذلك لأن اللوح المحفوظ فيه سطور غيب الله ، واللوح الحفيظ في الأرض هو المستودع لغيب الله وإليه الإشارة بقوله : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) ، والولي حافظ للذكر وعالم بتأويله وتنزيله ، فاللوح المحفوظ بالحقيقة هو الولي ، فمن أنكر علم الولي بأهل ولايته ومشاهدته لأعمالهم فقد كذب القرآن ."(67) **وأما**

المتصوفة، فإنهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشأن الآيات الانفسية دون عالم الظاهر وآياته الآفاقية اقتصروا في بحثهم على التأويل، ورفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجتراء الناس على التأويل، وتلفيق جمل شعرية والاستدلال من كل شئ على كل شئ، حتى آل الامر إلى تفسير الآيات بحساب الجمل ورد الكلمات إلى الزبر والبينات والحروف النورانية والظلمانية إلى غير ذلك. ومن الواضح أن القرآن لم ينزل هدى للمتصوفة خاصة، ولا أن المخاطبين به هم أصحاب علم الاعداد والأوفاق والحروف، ولا أن معارفه مبنية على أساس حساب الجمل الذي وضعه أهل التنجيم بعد نقل النجوم من اليونانية وغيرها إلى العربية. نعم قد وردت روايات

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام كقولهم: إنَّ للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة ابطن أو إلى سبعين بطنا، لكنهم (عليهم السلام) إعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن، واعتنوا بأمر التنزيل كما اعتنوا بشأن التأويل .[68]

أقوال الفلاسفة

وأما الفلاسفة فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم أعني: الرياضيات والطبيعيات والإلهيات والحكمة العملية، وخاصة المشائين، وقد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة وآيات الخلقة وحدوث السماوات والأرض وآيات البرزخ وآيات المعاد، حتى أنهم ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات والأصول الموضوعة التي نجدها في العلم الطبيعي: من نظام الأفلاك الكلية والجزئية وترتيب العناصر والاحكام الفلكية والعنصرية إلى غير ذلك، مع أنهم نصوا على أن هذه الانظار مبتنية على أصول موضوعة لا بينة ولا مبينة .[69] وهذه نماذج من أقوالهم:

1) يقول الملا هادي السبزواري في محل بحث الآية والموضوع:" فتلك العقول هي الأقلام وتلك النفوس بل الأجسام ألواح قال تعالى :انه لقران كريم في لوح محفوظ لا يمسه الا المطهرون وقال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، وفى الخبر لما خلق الله تعالى القلم قال اكتب قال ما اكتب قال علمي في خلقي فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سبق العلم وجف القلم ومضى القضا وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسول وبالسعادة من الله تعالى ، وقال ابن بابويه رضوان الله عليه اعتقادنا في اللوح والقلم انهما ملكان كشف الله لهما مخفيات علمه وأطلعهما على علومه الغيبية وفي تفسير يا باريء الروح والنسم : ...وفى القاموس النسم محركة نفس الروح كالنسمة محركة ونفس الريح إذا كان ضعيفا والمراد بالذر والنسم في هذا الاسم الشريف الأرواح والنفوس الجزئية بحسب الكينونة السابقة واللاحقة كما أن المراد باللوح والقلم في الاسم الشريف الذي قبله العقل والنفس."[70] ، وفي مورد آخر من كتابه يقول فيه :" وكذا يا من هو عنده أم الكتاب أم الكتاب هو العقل الأول والممكن الأشرف الأقرب سمى به لاحتوائه بكل الحقايق لكونه بسيط الحقيقة جامعا لكمالات ما دونه وكتابيته باعتبار ماهيته أو أم الكتاب جملة عالم العقل وهي مع تفاوت مراتبها لشدة اتصالها المعنوي وبساطتها الحقيقية وكون كلها في كلها لعدم حجاب بينها كأنها موجود واحد والكتب الإلهية والصحف المكرمة المرفوعة المطهرة كثيرة الأول أم الكتاب والثاني الكتاب المبين وهو النفس الكلية وتسمى اللوح المحفوظ واليهما الإشارة بقوله تعالى:(ن .والقلم وما يسطرون) إلى ما صدر عنهما من صور الموجودات ، والثالث كتاب المحو والاثبات وهو النفس المنطبعة وتسمى لوح القدر والحق ان الكتاب المبين الذي لا رطب ولا يابس الا فيه أعم يشمل الأول والثالث أيضا والى هذا الكتاب أشار بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، والرابع الكتاب المسطور وهو

المنقوش على الرق المنشور أعني الهيولي ويسمى سجل الوجود واليه الإشارة بقوله والطور وكتاب مسطور في رق منشور ، والخامس الكتاب الجامع للكل وهو الانسان ولا سيما الكامل منه وهو الكتاب الصغير المستنسخ من الكتاب الكبير واليه الإشارة بقوله تعالى وكل شئ أحصيناه في امام مبين فكل انسان بل كل نفس من النفوس الحيوانية كتاب من كتب الله فالانسان من حيث روحه وعقله الاجمالي كتاب عقلي ومن حيث قلبه وعقله التفصيلي كتاب نفسي ومن حيث خياله كتاب المحو والاثبات وفى كيفية مقابلة الكتاب الصغير مع الكتاب الكبير تطويل عظيم عسى ان نذكر قليلا منها سبحانك الخ ." [71]

أقول : إن تفسيره اللوح المحفوظ بالنفس الكلية بلحاظ كونه هو الكتاب المبين وهو غير العقل الأول وكونه يشمله ويشمل النفس المنطبعة دليل على هذه الغيرية فتأمل.

2) يقول السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : "كان ذلك في الكتاب مسطورا " أي اهلاك القرى أو تعذيبها عذابا شديدا كان في الكتاب مسطورا وقضاء محتوما ، وبذلك يظهر أن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ الذي يذكر القرآن أن الله كتب فيه كل شئ كقوله : " وكل شئ أحصيناه في امام مبين " يس : 12 ، وقوله : " وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين : يونس : 61 . ومن غريب الكلام ما ذكره بعضهم : وذكر غير واحد أنه ما من شئ الا بين فيه أي في اللوح المحفوظ والكتاب المسطور بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له ، واستشكل العموم بأنه يقتضي عدم تناهي الابعاد ، وقد قامت البراهين النقلية والعقلية على خلاف ذلك فلا بد أن يقال بالتخصيص بأن يحمل الشئ على ما يتعلق بهذه النشأة أو نحو ذلك . وقال بعضهم : بالعموم إلا أنه التزم كون البيان على نحو يجتمع مع التناهي فاللوح المحفوظ في بيانه جميع الأشياء الدنيوية والأخروية وما كان وما يكون نظير الجفر الجامع في بيانه لما يبينه انتهى. ويقول (ره) : والكلام مبني على كونه لوحا جسمانيا موضوعا في بعض أقطار العالم مكتوبا فيه أسماء الأشياء وأوصافها وأحوالها وما يجري عليها في الأنظمة الخاصة بكل منها والنظام العام الجاري عليها من جميع الجهات ، ولو كان كما يقولون لوحا ماديا جسمانيا لم يسع كتابة أسماء أجزائه التي تألف منها جسمه وتفصيل صفاتها وحالاتها فضلا عن غيره من الموجودات التي لا يحصيها ولا يحيط بتفاصيل صفاتها وأحوالها وما يحدث عليها والنسب التي بينها الا الله سبحانه ، ثم يقول :على أن الجمع بين جسمية اللوح وماديته التي من خاصتها قبول التغير وبين كونه محفوظا من اي تغير وتحول مفروض مما يحتاج إلى دليل اجلى من هذه التصويرات ، وفي الكلام مواقع أخرى للنظر . فالحق ان الكتاب المبين هو متن الأعيان بما فيه من الحوادث من جهة ضرورة ترتب المعلولات على عللها ، وهو القضاء الذي لا يرد ولا يبدل لا من جهة امكان المادة وقوتها والتعبير عنه بالكتاب واللوح لتقريب الافهام إلى حقيقة المعنى بالتمثيل." [72]

أقول : صحيح إن السيد الطباطبائي من الفلاسفة المرموقين لكنه يبحر فيها من خلال سفينة التدبر القرآني ولهذا لا يثار عليه ما أثير على الفلاسفة آنفا

منهج التدبر في تفسير الآية

1) وهنا ننقل من هذا المنهج الذي هو خير معبر عن المنهج القرآني ثلاثة مواضع:

الموضع الأول

(حم. والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)

قوله تعالى : (والكتاب المبين) ظاهره أنه قسم وجوابه قوله : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) إلى آخر الآيتين ، وكون القرآن مبينا هو إبانته وإظهاره طريق الهدى كما قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) النحل : 89 ، أو كونه ظاهرا في نفسه لا يرتاب فيه كما قال : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) البقرة : 2 . قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) الضمير للكتاب ، و (قرآنا عربيا) أي مقروا باللغة العربية و (لعلكم تعقلون) غاية الجعل وغرضه . وجعلُ رجاءِ تعقّلِه غايةٌ للجعل المذكور يشهد بأن له مرحلة من الكينونة والوجود لا ينالها عقول الناس ، ومن شأن العقل أن ينال كل أمر فكري وإن بلغ من اللطافة والدقة ما بلغ فمفاد الآية أن الكتاب بحسب موطنه الذي له في نفسه أمر وراء الفكر أجنبي عن العقول البشرية وإنما جعله الله قرآنا عربيا وألبسه هذا اللباس رجاء أن يستأنس به عقول الناس فيعقلوه ، والرجاء في كلامه تعالى قائم بالمقام أو المخاطب دون المتكلم كما تقدم غير مرة . قوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) تأكيد وتبيين لما تدل عليه الآية السابقة أن الكتاب في موطنه الأصلي وراء تعقل العقول . والضمير للكتاب ، والمراد بأم الكتاب اللوح المحفوظ كما قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) البروج : 22 ، وتسميته بأم الكتاب لكونه أصل الكتب السماوية يستنسخ منه غيره ، والتقييد بأم الكتاب و (لدينا) للتوضيح لا للاحتراز ، والمعنى : أنه حال كونه في أم الكتاب لدينا – حالا لازمة – لعلي حكيم .

. والمراد بكونه عليا على ما يعطيه مفاد الآية السابقة أنه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول ، وبكونه حكيما أنه هناك محكم غير مفصل ولا مجزءا إلى سور وآيات وجمل وكلمات كما هو كذلك بعد جعله قرآنا عربيا كما استفدناه من قوله تعالى : (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود : 1 . وهذان النعتان أعني كونه عليا حكيما هما الموجبان لكونه وراء العقول البشرية فإن العقل في فكرته لا ينال إلا ما كان من قبيل المفاهيم والألفاظ أولا وكان مؤلفا من مقدمات تصديقية يترتب بعضها على بعض كما في الآيات والجمل القرآنية ، وأما إذا كان الامر وراء المفاهيم والألفاظ وكان غير متجز إلى أجزاء وفصول فلا طريق للعقل إلى نيله ..[73]

الموضع الثاني

قوله تعالى : " إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين " الواقعة : 77-80 وهنا أنكروا وحدانيته وربوبيته تعالى بما ابدوه بإنكار القرآن النازل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي فيه نبأ التوحيد والبعث فأورد تعالى أولا بيانا لاثبات أصل الوحدانية والبعث بذكر شواهد من آياته تثبت ذلك وهو قوله : " نحن خلقناكم – إلى قوله – ومتاعا للمقوين " الواقعة /57-73، وثانيا بيانا يؤكد فيه كون القرآن الكريم كلامه المحفوظ عنده النازل منه ووصفه بأحسن أوصافه . فقوله : " إنه لقرآن كريم " جواب للقسم السابق ، الضمير للقرآن المعلوم من السياق السابق ويستفاد من توصيفه بالكريم من غير تقييد في مقام المدح أنه كريم على الله عزيز عنده وكريم محمود الصفات وكريم بذّال نفّاع للناس لما فيه من أصول المعارف التي فيها سعادة الدنيا والآخرة . وقوله : " في كتاب مكنون " وصف ثان للقرآن أي محفوظ مصون عن التغيير والتبديل ، وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى : " بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ " البروج : 22 . وقوله : " لا يمسه إلا المطهرون " صفة الكتاب المكنون ويمكن أن يكون وصفا ثالثا للقرآن ومآل الوجهين . على تقدير كون لا نافية واحد . والمعنى : لا يمس الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلا المطهرون أو لا يمس القرآن الذي في الكتاب إلا المطهرون . والكلام على أي حال مسوق لتعظيم أمر القرآن وتجليله فمسه هو العلم به وهو في الكتاب المكنون كما يشير إليه قوله : " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وأنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم " الزخرف : 4 . (74)

أقول : لقد ورد في البحث أن ما في الكتاب المكنون هو نفسه ما في الكتاب المحفوظ والكتاب على هذا الوصف لا يمكن مسه بالعلم والإطلاع إلا بالواسطة أي بواسطة كونه في القرآن المجيد إذ ما في القرآن مطابق لما في اللوح ولما في الكتاب المكنون وفي أم الكتاب .ولما كان هذا النحو من المس في متناول كل العلماء الذين طهرت نفوسهم من التعلق بغير الله .وليس هم إلا أهل بيت النبي (ص) .وأما غيرهم فلا يصلون الى مرحلة المس بل قد يصلون الى مرحلة القرب منه وهو غير ممنوع ما دامت الغاية لعلكم تعقلون .

الموضع الثالث:

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الأَجَل الوارد في آيات كثيرة في الكتاب المجيد :" والتدبر في الآيات السابقة منضمة إلى قوله تعالى : (لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد : 39) يفيد أن الاجل المسمى هو الذي وضع في أم الكتاب ، وغير المسمى من الاجل هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والاثبات ثم إنَّ أم الكتاب قابل الانطباق على الحوادث الثابتة في العين أي الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب العامة التي لا تتخلف عن تأثيرها ، ولوح المحو والاثبات قابل الانطباق على الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب الناقصة التي ربما نسميها بالمقتضيات التي يمكن اقترانها بموانع تمنع من تأثيرها . واعتبر ما ذكر من أمر السبب التام والناقص بمثال إضاءة الشمس فإنا نعلم أن هذه الليلة ستنقضي بعد ساعات وتطلع علينا الشمس

فتضئ وجه الأرض لكن يمكن أن يقارن ذلك بحيلولة سحابة أو حيلولة القمر أو أي مانع آخر فتمنع من الاضاءة وأما إذا كانت الشمس فوق الأفق ولم يتحقق أي مانع مفروض بين الأرض وبينها فإنها تضئ وجه الأرض لا محاله . فطلوع الشمس وحده بالنسبة إلى الاضاءة بمنزلة لوح المحو والاثبات ، وطلوعها مع حلول وقته وعدم أي حائل مفروض بينها وبين الأرض بالنسبة إلى الاضاءة بمنزلة أم الكتاب المسمى باللوح المحفوظ." (75)

أقول : إذن فقضايا اللوح المحفوظ هي قضايا واقعة لا محالة قطعا ، ولعلها هي المعبَّر عنها في بعض الآثار بالقضاء الذي لا يردّ ولا يبدَّل .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

وننقل عنه بخصوص مسألة البحث موردين فقط هما :

المورد الأول :

يقول الشيخ مكارم الشيرازي تحت قوله تعالى : "(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماوات والأرض وإن ذلك في كتاب). أجل ، إن جميع ذلك قد ثبت في كتاب علم الله الذي لا حدود له ، كتاب عالم الوجود وعالم العلة والمعلول ، عالم لا يضيع فيه شئ ، فهو في تغيير دائم ، حتى لو خرجت أمواج صوت ضعيف من حنجرة إنسان قبل ألفي عام فإنها لا تنعدم ، بل تبقى في هذا الكتاب الجامع لكل شئ بدقة . أي إن كل ما يجري في هذا الكون مسجل في لوح محفوظ هو لوح العلم الإلهي ، وكل هذه الموجودات حاضرة بين يدي الله سبحانه بجميع صفاتها وخصائصها . وهذا من معاني القدرة الإلهية التي نلمسها في قوله تعالى : (إن ذلك على الله يسير)."(76)

أقول : إذن فاللوح المحفوظ على ضوء بيانه لا يعدو أن يكون تعبيرا فنيّاً عن العلم الإلهي الذي لا حدود له وليس له حقيقة أخرى غيره .ولكن كيف يكون اللوح المخلوق والممكن الوجود المحدث ظرفا لما هو أوسع منه وبتعبير آخر كيف يكون المحدود ظرفا للامحدود؟

المورد الثاني :

ثم يقول نفس الكلام الفائت في موضع تفسير الآية من تفسيره : "ثم يتطرق القرآن إلى بيان ثلاث صفات أخرى لهذا الكتاب السماوي ، فيقول : وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويشير في الصفة الأولى إلى أن القرآن الكريم قد حفظ وأثبت في أم الكتاب لدى الله سبحانه ، كما نقرأ ذلك أيضا في الآية (22) من سورة البروج : بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ . والآن ، لنر ما هو المراد من " أم الكتاب " ، أو " اللوح المحفوظ " ؟ " الأم " في اللغة تعني أصل كل شئ وأساسه ، وإنما يقول العرب للأم أمّاً لأنها أساس العائلة ومأوى الأولاد ، وعلى هذا فإن (أم الكتاب) يعني الكتاب الذي يكون أساسا لكل الكتب السماوية ، وهو

ذلك اللوح المحفوظ لدى الله سبحانه ، والمصون من كل تغيير وتبديل وتحريف ... إنه كتاب علم الله المحفوظ لديه ، والذي أدرجت فيه كل حقائق العالم ، وكل حوادث الماضي والمستقبل ، وكل الكتب السماوية ، ولا يستطيع أي أحد أن يصل إليه ويعلم ما فيه ، إلا إذا أراد الله سبحانه أن يُعلم أحداً بالمقدار الذي يريده عزَّ وجلَّ . وهذا وصف عظيم للقرآن الذي ينبع من علم الله اللامتناهي ، وأصله وأساسه لديه سبحانه."(77)

منهج الحس والتجربة وأصالة العمل

جاء في مقدمة الميزان في تفسير القرآن : "ان التأويل الذي يراد به المعنى المقصود الذي يخالف ظاهر الكلام من اللغات المستحدثة في لسان المسلمين بعد نزول القرآن وانتشار الاسلام ، وان الذي يريده القرآن من لفظ التأويل فيما ورد فيه من الآيات ليس من قبيل المعنى والمفهوم . وقد نشأ في هذه الاعصار مسلك جديد في التفسير وذلك أن قوما من منتحلي الاسلام في أثر توغلهم في العلوم الطبيعية وما يشابهها المبتنية على الحس والتجربة ، والاجتماعية المبتنية على تجربة الاحصاء ، مالوا إلى مذهب الحسيين من فلاسفة الأروبة سابقا ، أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للادراكات الا ترتب العمل عليها بمقدار يعينه الحاجة الحيوية بحكم الجبر) . فذكروا : ان المعارف الدينية لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدقه العلوم وهو أن : (لا أصالة في الوجود إلا للمادة وخواصها المحسوسة) فما كان الدين يخبر عن وجوده مما يكذب العلوم ظاهره كالعرش والكرسي واللوح والقلم يجب أن يؤل تأويلا . وما يخبر عن وجوده مما لا تتعرض العلوم لذلك كحقائق المعاد يجب أن يوجه بالقوانين المادية . وما يتكي عليه التشريع من الوحي والملك والشيطان والنبوة والرسالة والإمامة وغير ذلك ، إنما هي أمور روحية ، والروح مادية ونوع من الخواص المادية ، والتشريع نبوغ خاص اجتماعي يبني قوانينه على الأفكار الصالحة ، لغاية إيجاد الاجتماع الصالح الراقي . وإنما الكلام في أن ما اوردوه على مسالك السلف من المفسرين (أن ذلك تطبيق وليس بتفسير) وارد بعينه على طريقتهم في التفسير ، وإن صرحوا أنه حق التفسير الذي يفسر به القرآن بالقرآن . ولو كانوا لم يحملوا على القرآن في تحصيل معاني آياته شيئا ، فما بالهم يأخذون الانظار العلمية مسلمة لا يجوز التعدي عنها ؟ فهم لم يزيدوا على ما أفسده السلف اصلاحا". "(78)

أقول : إن الأنظار العلمية عند الحسيين والتجريبيين – سواء كانوا من المسلمين أو من الأوربيين غيرهم –في الحقيقة والواقع ليست انظارا علمية في الغالب؛ لأن بعضا مما يسمى بالأنظار العلمية عندهم ما هو إلا إحتمالات وظنون لا ترقى إلى مستوى العلم . وما كان منها ناقصا لا يصلح أن يكون وسيلة للإثبات والحكم . والإتجاه الذي يُدخل الإدراكات الناقصة في نطاق المعرفة إنما يُدخل وسيلة غير علمية في هذا المجال ويعتبرها مصدرا من مصادر الإستنباط وتقدير الموقف وتحديده ، ولسنا في هذا البحث في صدد دراسة الإسباب التي دعت الى سلوك هذين المسلكين في المعرفة تفصيلا ولكن الداعي الأهم الذي دعاهم الى التمسك بهذا المنهج واعتماد التجربة والحس وأصالة العمل كأساس في اثبات وجود الشيء وعدمه وتكذيب ما لم يكن ماديا محسوسا من المعارف

الدينية كاللوح المحفوظ الذي نحن بصدد البحث فيه الذي دعاهم الى ذلك بعد نجاح التجربة في كثير من المجالات واعتقاد الناس على ضوء هذا النجاح بأصالتها وكونها الأساس الوحيد لجميع المعارف والعلوم هو عدم الإطلاع على شمولية العلم الديني لكل مجالات الحياة. وليت أصحاب مسلك أصالة العمل ساروا على حقيقة المبدأ الذي رسموه لأنفسهم في أن المعارف الدينية لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدِّقه العلوم ، ولكن الخلاف بيننا وبينهم أنهم يعدون نتائج التجربة والحس الماديين مطلقا من العلوم والحال أنه ما أكثر الخطأ والإشتباه فيهما فضلا عن أن هناك علوما حقيقية وقطعية كالعلوم العقلية ليس فيها للإحتمال والظن الذي يعتمدونه مجال ، فكيف يصح الحكم بما هكذا درجته من العلم على قضية من القضايا بالثبوت وعدمه وكيف يعتمد على تأويلاتهم . وإن كان مقصودهم من ذلك الطعن على الأخذ بمعطيات العقل العلمي والقطعي في الإستقلال بالإستدلال عما عجزوا عنه على رغم أن التجربة بنفسها تعتمد على الفكر العقلي وأن الأساس الأول للعلوم والمعارف هو العقل الذي يدرك حقائق لا يقع عليها الحس كما يدرك الحقائق المحسوسة.وهل ينتظر ممن عنده القرآن الذي هو تبيان لكل شيء والسنة المطهرة عِدله أن يعتمد في تحديد صدق معارفه وكذبها على معطيات الحس والتجربة المنبوزين بالجهل والخطأ الفاحش في أحايين كثيرة وقضايا كبيرة ، ثم هل التسميات والإلفاظ المرتجلة في اعطاء صفة العلم للأنظار الناتجة عن الحس والتجربة أو ممن يقول بأصالة المادة لا غير يقلب الحقيقة ويحول الظنون والترجيحات الناتجة عنها في كثير من المحاولات الى علوم في كل الحالات ؟ هذا إذا أخذنا الحس والتجربة مستقلين في دعوى إدراكهما للعلوم والمعارف فكيف إذا أرجعنا كثيرا مما ادعته الى إدراكات العقل . [79]

النظرة العقائدية والفقهية في مسألة البحث

وأخيراً فإنَّ مسألة البحث(اللوح المحفوظ) تعتبر من تفرّعات أصول العقائد الثلاثة التوحيد والنبوة والمعاد كأخواتها القلم والقضاء والقدر والملائكة والعرش والكرسي وخلق السماوات والأرضين. [80] . ومسائل العقائد لا تصلح أن تكون التجربة دليلا عليها ولا أن يكون الدليل عليها في الغالب والمشهور هو الدليل الحسي أو الحدسي والإلهامي الذي يحصل للصفوة القليلة من الخلق بل يستدل عليها فيما يستدل به بالوحي وبالبراهين والأدلة العقلية والتأمل النظري في أن المولى عز وجل وهو الحفيظ والحافظ هل يعقل أن يترك رسالاته من غير حفظ ؟ قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ). وقال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[81] .فقد حفظ الله عنده لوح علم ما هو كائن ويكون الى يوم القيامة ، وحفظ ما هو مقروء في لوح قلوب المطهَّرين من عباده . ثم إذا آمن العقل بذلك فلا يجب عليه معرفة تفصيلات اللوح من حجمه وموقعه وابعاده وهل أن الكتابة المثبتة فيه مثل الكتابة المثبتة في المصحف المتداول بين يدي الإنسان في عالم الدنيا أم تختلف عن ذلك .

يقول السيد محسن الخزازي في هذا الصدد: "كذا إذ وجبت معرفة الميزان لا تجب معرفة أنها ميزان معنوية أو لها كفتان ولا تلزم معرفة أن الصراط جسم دقيق أو هو الاستقامة المعنوية والغرض أنه لا يشترط في تحقيق الإسلام معرفة أنها من الأجسام " [82]

ولا يقال إن العلوم الحسية والتجريبية التي تتكيء على درجة الظن صالحة لإبطال الإستدلال بالعقل في تفسير القرآن كما صرح أصحابها بذلك وصالحة في تحديد المعارف الدينية ؛ إذ الإدراك العقلي الذي يعتمد على هكذا درجة من العلم تولدها التجربة والحواس لا يمكن الإعتماد عليه كوسيلة اثبات أو نفي لذلك وخاصة تلك التي ورد فيها نص قرآني .نعم إن العقائد في مثل هكذا أمور لا يجب البحث عن تفصيلاتها ، بل يقتصر فيها على ماورد بحقها من معان ومفاهيم في القرآن ، وعلى ما صح عن النبي (ص) وعترته الطاهرة (عليهم السلام).

يقول الشيخ المظفر في عقائد الإمامية :

" إذا أراد الانسان أن يتجاوز المسألة وأمثالها إلى تفصيلها بأكثر مما جاء في القرآن ، ليقنع نفسه دفعا للشبه التي يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلي أو التجربة الحسية – فإنه إنما يجني على نفسه ويقع في مشكلات ومنازعات لا نهاية لها . وليس في الدين ما يدعو إلى مثل هذه التفصيلات التي حشدت بها كتب المتكلمين والمتفلسفين ، ولا ضرورة دينية ولا اجتماعية ولا سياسية تدعو إلى أمثال هاتيك المشاحنات والمقالات المشحونة بها الكتب عبثا والتي استنفدت كثيرا من جهود المجادلين وأوقاتهم وتفكيرهم بلا فائدة . والشبه والشكوك التي تثار حول تلك التفصيلات يكفي في ردها قناعتنا بقصور الانسان عن إدراك هذه الأمور الغائبة عنا والخارجة عن أفقنا ومحيط وجودنا والمرتفعة فوق مستوانا الأرضي ، مع علمنا بأن الله تعالى العالم القادر أخبرنا عن تحققها ووقوعها . وعلوم الانسان غير المعصوم وتجرباته وأبحاثه يستحيل أن تتناول بالدقة العلمية المعتبرة شيئا لا يقع تحت تجربته واختباره ، وإن أكثر ما يقال من إبطال أو نفي لهذا النحو من المعارف القرآنية يرجع في واقعه الى روح الإستغراب والخيال الباطل عقلا وتحت تأثير الإستكبار والعتو الذي كان يدعو المشركين من قبل الى نكران وجود الله ونكران الروح والمطالبة برؤية الملائكة وأمثال ذلك . "[83]

وأما النظرة الفقهية فيمكن أن تستنتج من اختصاص القول في اللوح المحفوظ بالله الذي يعلم الغيب وبمن أطلعه الله على ذلك ممن ارتضى من نبي أو رسول أو وصي رسول ، وعليه فالخوض في أمر اللوح المحفوظ مشكل شرعا لغيرهم عليهم السلام لعدم وجود مستند نصي أو شرعي أو تاريخي[84] ، والبحث الذي بين يديك أيها القاريء العزيز يمثل هذه الدائرة من الجواز دون تعديها في النظر وليس في هذا جمود في المعرفة وإنما هو احترام للمعرفة من المجازفة بالقول والخوض فيه بلا دليل .

الآثار المترتبة على الإيمان باللوح المحفوظ

من الآثار المترتبة على الإيمان باللوح المحفوظ الوقوف بثبات أمام المصائب التي تحدث في الطبيعة ولا يمكن التخلص منها كالزلازل والسيول والفيضانات والآفات المختلفة والتي ستبقى بالرغم من التقدم العلمي العظيم ، ولن يستطيع العلم أن يمنع حدوثها ونتائجها المؤلمة ، أو التي تقع على البشر كالموت وأنواع الحوادث المؤلمة والمقدرة من قبل والمسجلة فيه ، قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في

الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) ، وليست ناتجة عن أعمال الإنسان كما هي المعبر عنها في قوله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) كالمصائب التي تكون مجازاة وكفارة للذنوب ، كالظلم والجور والخيانة والانحراف وأمثالها ، فإنها تكون مصدرا للكثير من مصائب الإنسان .

فالنوع الاول مما لا تكون للإنسان يد فيها ، وتكون مقدرة وحتمية وغير قابلة للاجتناب حيث يبتلي فيها الفرد والمجتمع ، من قبيل المصائب التي حلَّت بالكثير من الأنبياء والأولياء والصالحين ومن أمثلة ذلك مصصيبة كربلاء التي أشار اليها الإمام زين العابدين في الحوار الذي وقع بينه وبين الخليفة الأموي يزيد بن معاوية حيث قال عندما أدخل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مغلولا مكبلا في مجلسه ، التفت اليه ، وقرأ آية سورة الشورى : (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وكان يريد أن يظهر أن مصائبكم كانت نتيجة أعمالكم)، مريدا الطعن بالإمام (عليه السلام) بهذا الكلام ، إلا أن الإمام رد عليه فورا وقال : كلا ، ما نزلت هذه فينا ، إنما نزلت فينا : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

و قد عرف أتباع أهل البيت عليهم السلام نفس المعنى المتقدم لهذه الآية ، إذ نقل أن الحَجّاج عندما جِيئ له بسعيد بن جبير وصمَّم على قتله ، بكى رجل من الحاضرين . قال سعيد : وما يبكيك ؟ فأجاب : للمصاب الذي حلَّ بك ، قال : لا تبك فقد كان في علم الله أن يكون ذلك ، ألم تسمع قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها). ومنها أن كثرتها لا يعيق الإيمان بها ذلك لأنها مسجلة في لوح محفوظ وفي علم الله عز وجل اللا محدود ، وقوله تعالى في نفس الآية : (إن ذلك على الله يسير) تشير إلى تسجيل وحفظ كل هذه الحوادث في لوح محفوظ مع كثرتها البالغة ، وذلك سهل يسير على الله تعالى . وننهي هذا البحث بما ذكر في التاريخ حيث نقل عن بعض المفسرين ما يلي : قال " قتيبة بن سعيد " : دخلت على إحدى قبائل العرب فرأيت صحراء مملوءة بجمال ميتة لا تعد ، وكانت بقربي امرأة عجوز فسألتها : لمن هذه الجمال ؟ قالت : لذلك الرجل الجالس فوق التل الذي تراه يغزل ، فذهبت إليه وقلت : هل هذا كله لك ؟ قال : كانت باسمي ، قلت : ما الذي جرى وأصبحن بهذا الحال ؟ فأجابني – دون الإشارة إلى علة موتهن – إن المعطي قد أخذ . قلت : هل ضجرت لما أصابك ؟ وهل قلت شيئا بعد مصابك ؟ قال : بلى . وأنشد هذين البيتين :

لا والذي أنا عبد من خلائقه والمرء في الدهر نصب الـرزء والمحـــنِ

ما سرني أنَّ إبلي في مباركـها ومـا جـرى من قضـــاء الله لـم يكنِ

أنا راض برضى الله تعالى فقط وكلما يقدِّر فأنا أقبلُه .[85]

خلاصة البحث

انتهى البحث في موضوع اللوح المحفوظ الى ما يلي :

1) أن اللوح المحفوظ من الأسرار العلمية التي لا تدركها إلا القوى المطهرة عن التعلق بغير الله عز وجل .ولا مجال في هذا الإدراك في الإعتماد على الأنس والعادة في فهم الألفاظ ومعانيها ولا على الفرضيات العلمية والفلسفية والمكاشفات العرفانية والحسية والتجريبية والمادية .وقد دخل البحث الى المسألة من عنوان نفسها ومن عنوان أم الكتاب ومن عنوان الكتاب المبين باعتبار اتحاد العناوين الثلاثة روحا و مضمونا .

2) إن نسبة مقدار العلم التجريبي الى العلم المثبت في اللوح المحفوظ كنسبة الرذاذة من الماء الى محيطات الدنيا كلها .وإن من الظلم والعيب أن يحكم العلم التجريبي وأصحاب الفرضيات العلمية والمكاشفات العرفانية على عالم ليس لهم موطأ قدم فيه .

3) إن القرآن والعترة الطاهرة هم أفضل الكواشف عن أسرار هذا الموضوع . وإن أفضل طريقة هي ان نفسر ما جاء في القرآن بالقرآن أو بالرواية المبيّنة له والمعتبرة عند أهل الفن والعلوم القرآنية،وأن نستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن،أو من الرواية الكاشفة عن الآية المقصودة بالبحث ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات أو الروايات، كما قال تعالى: (إنا نزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شئ).وما ورد عن النبي (ص): (ألا أني أوتيت القرآن وأوتيت مثله معه)[86]

4) إن الإنسان ليس مؤهلا أن يدرك اللوح وما ثبّت فيه أو أن يعقله إلا عن طريق فهم القرآن المجيد والسنة المفسرة له فقط لا غير.باعتبار مجانستها روحا ونورا لما في اللوح المحفوظ.

5) إن طرح هذه الموضوعات للبحث العلمي مدعاة للتحفز العقلي والفكري الذي يندب اليه القرآن مثلما يندب الى كثير من الأمور التي لها علاقة بتسليط الضوء على عظمة الخالق ووحدانيته وإبداعه وعزته .

6) وأخيرا نسأل الله العظيم أن يكون هذا البحث حافزا لبحوث تتقوى بها المعارف الدينية وتتأكد لدى الذين يجدّون الليل والنهار من أجل تحصيلها والتحقيق فيها .

Conclusion

Very exciting to be a book Webmasters mother of the book and the Allawh Almahfuz is a book of formative and legislative together, and it is the original inherent in all the knowledge and scientefic religious and others to the Day of

Resurrection, and a treasure of knowledge which does not get any hands of creatures and their senses except what looms him to Israafeel when there is a revelation to one of the messengers of God recorded his greatness. And it is a summit that every effort skilled climbers fail to live up to it; that is because it does not lie in the concrete and tangible framework by them or in moons and suns part, but is saved by excellent tools of divine conservation that does not make any chance for science to make like it or innovate like it. This research has signed here on this secret, but through grants to the Book of Allah and those who know it; since it is not any secret to the knowledge of the Koran manifesting, and there is nothing to hide his knowledge to those God make them special. Hence, there wasn't opportunity for the people of interpretation and divine science only to those who had them connected to them, but the entire opportunity in the search was in it about them, first from the linguistic meaning and idiomatic to the places of existence in the book of God legible writing and the meaning and interpretation to the question that; is it a creature of God or has no beginning, and is there any greater than him , and how bend to interpretation , and what are the words of the commentators ? And how much settled their interest in the books of their interpretation and their methodology and comprehension speeches of speechers and their co-workers. Then in the treatment of every methodologist of them, and finally evaluate what is right from wrong in the abuse of his knowledge and fighting.

We have adopted in the coverage of these Detective's search main sources of interpretation to the other books of speech, history and Quranic science. And the new, which we claim in search not only some of the discussions of some of the

opinions and statements and that what came to pure discussion, but in order to confirm the objective of the research is to show deficits of experimental research from the follow the religious researches constantly and it elevate ladders of science and upgraded knowledge in all areas in detailed and totally. The search is over to the results demanded it notably that man is not qualified to realize the Allawh Almahfuz and whatever proved it or whatever realize it, is only by understanding the Glorious Quran and his Sunna Almutahara interpreter just is not, and their shaping as spirit and glowing to it .

فهرست المحتويات

1) **الطبري** ، إبن جرير ، جامع البيان : ج 30 – ص 175

2) **ابن أبي زمنين** ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله تفسير ابن زمنين : ج 5 – ص 116

3) **ابن منظور** ، لسان العرب : ج 2 – ص 584 – 585

4) **الراغب الأصفهاني** ، مفردات غريب القرآن : ص 456

5) **الطريحي** ، مجمع البحرين : ج 4 – ص 152 – 153

6) **الشيرازي** ،ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ج 20 – ص 98 – 99

7) **نفس المصدر** : ج 12 – ص 10

8) **راجع نفس المصدر** :ج13 ص88

9) **الفيض الكاشاني** ، التفسير الصافي :ج3 ص74

10) **راجع** : **السبزواري**، الملا هادى ،شرح الأسماء الحسنى : ج1 ص48

11) **الحكيم** ،محمد باقر، علوم القرآن : ص 36

12) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن :ج17 ص67 -68

13) **نفس المصدر** : ج11 ص76

14) **الأعراف**/145

15) **الأعراف**/ 150

16) **الأعراف**/ 154

17) **الطوسي** ، مصباح المتهجد : ص 470 – 471

18) **الصفار** ، نمحمد بن الحسن،بصائر الدرجات : 157

19) **الحلي** ، الحسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات : 109

20) **الصفار** ، محمد بن الحسن ، بصائر الدرجات : ص 155

21) **المازندراني** مولي محمد صالح،شرح أصول الكافي :ج5 ص305

22) **المفيد** ، محمد بن محمد بن النعمان ، الاختصاص: ص 314

23) **الكليني** ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج 1 – ص 225

24) **الباقلاني** ، إعجاز القرآن : ص 61

25) **العلامة الحلي**،الرسالة السعدية : ص48

26) **مقاتل بن سليمان** ، تفسير مقاتل بن سليمان : ج 3 – ص 471 – ص472

27) **الطبري** ،تاريخ الطبري : ج 7 – ص 198

28) **الطوسي** ، مصباح المتهجد : ص 470 – 471

29) **الحويزي** ، تفسير نور الثقلين: ج1 ص3

30) **الطوسي** ،تهذيب الأحكام : ج3 ص72

31) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج1 ص4

32) **نفس المصدر** : ج1 ص5

33) **العلامة المجلسي** ، بحار الأنوار : ج 54 – ص 371

34) **نفس المصدر** : ج54 ص374

35) **نفس المصدر** : ج54 ص369

36) **نفس المصدر** : ج54 ص375

37) **نفس المصدر** : ج54 ص375

38) **الطوسي** ، محمد بن الحسن ، التبيان : ج10 ص322

39) **الشيرازي** ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ص98

40) **الطبري** ، ابن جرير ، جامع البيان : ج30 ص176

41) **نفس المصدر** : ج30ص176

42) **نفس المصدر** : ج30ص176

43) **السمرقندي** ،أبو الليث ، تفسير السمرقندي : ج 3 – ص545

44) **نفس المصدر** : ج3 ص545

45) **الصدوق**، معاني الأخبار :ص23

46) **آل عمران** :(36) ، (37)

47) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج1 ص6

48) **العلامة المجلسي** ، محمد باقر : ج54 ص369

49) **نفس المصدر** : ج4 ص369 عن العلل : ج1 ص18

50) **العلامة المجلسي** ، محمد باقر : ج54 ص370

51) **الصدوق**، الاعتقادات في دين الإمامية : ص44

52) **المفيد**، محمد بن محمد بن النعمان ، تصحيح اعتقادات الإمامية : ص74

53) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج 2 – ص 18

54) **العلامة المجلسي** ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج18 ص258

55) **عاشور** ، علي، الولاية التكوينية لآل محمد (ع) : ص 73 – 79

56) **القمي**، علي بن إبراهيم، تفسير القمي:ج2 ص28

57) **الصدوق** ، معاني الأخبار : ص23

58) **الحويزي** ، تفسير نور الثقلين : ج2 ص519

59) **العلامة المجلسي** ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج54 ص370 نقلا عن عقائد الصدوق

60) **نفس المصدر** ج 54 – ص 370

61) **الخميني** ، مصطفى، تفسير القرآن الكريم :ج5 ص275

62) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن :ج1 ص6

63) **الخطيب البغدادي**، تاريخ بغداد : ج 12 – ص 169

64) **اللواساني**، حسن، نور الأفهام في علم الكلام : ج 2 – شرح ص 96– 100

65) **السبحاني** ، جعفر ، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية : ص448–449

66) **السبحاني** ، جعفر ، الإلهيات : ص120

67) **الحافظ البرسي** ، رجب، مشارق أنوار اليقين: ص223

68) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن :ج1 ص7

69) **نفس المصدر** : ج1 ص7

70) **راجع** : **السبزواري**، الملا هادى ،شرح الأسماء الحسنى : ج 1 – ص 253

71) **راجع** : **نفس المصدر**: ج1 ص48-49

72) **الطباطبائي** ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج 13 – ص 133 – 134

73) **المصدر السابق** : ج18 ص83-85

74) **نفس المصدر** : ج 19 - ص 136 – 141

75) **نفس المصدر** : ج7 ص10

76) **الشيرازي** ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ج 10 - ص 395 – 396

77) **نفس المصدر** : ج 16 - ص 11 – 13

78) **راجع** : **الطباطبائي** ،محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج1ص 8-12

79) **الصدر** ،محمد باقر، فلسفتنا :هامش : ص17

80) **راجع** : **الطباطبائي** ،محمد حسين ، القرآن في الإسلام : ص16

81) **الحجر** : 9

82) **الخزازي** ،محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية : ص239

83) **المظفر** ،محمد رضا، عقائد الإمامية : ص127

84) **راجع** : **الصغير** ، محمد حسين علي ، المباديء العامة لتفسير القرآن الكريم :ص30

85) **راجع** : **الشيرازي** ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ج 18 ص70

86) **السيوطي** ،جلال الدين : عبدالرحمن ابن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن: ج2 ص175

فهرست المصادر

1) **ابن أبي زمنين** ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله(ت 399 هـ) تفسير ابن زمنين ، تحقيق :أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة الأولى ، تاريخ الطبع : 1423 – 2002م، مكان الطبع : مصر– القاهرة – الفاروق الحديثة، مطبعة : الفاروق الحديثة .

2) **ابن منظور** (ت711 هـ) لسان العرب،علوم اللغة العربيةتاريخ الطبع : محرم 1405،نشر أدب الحوزة – قم – ايران.

3) **الباقلاني (ت** 403هـ) إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر، الطبعة : الثالثة، مكان الطبع والنشر : دار المعارف – مصر .

4) **الحافظ البرسي** ، رجب(ت 813هـ) مشارق أنوار اليقين ، تحقيق : السيد علي عاشور ، الطبعة : الأولى سنة الطبع : 1419 – 1999 م ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت– لبنان.

5) **الحكيم** ،محمد باقر(معاصر)علوم القرآن ، الطبعة : الثالثة ،سنة الطبع : ربيع الثاني 1417، المطبعة : مؤسسة الهادي – قم الناشر : مجمع الفكر الإسلامي.

6) **الحلي** ، الحسن بن سليمان(ق 9) مختصر بصائر الدرجات ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1370 – 1950 م ،الناشر : منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ،انتشارات الرسول المصطفى (ص) – قم .

7) **الحويزي** (ت 1112 هـ) تفسير نور الثقلين ، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : 1412 – 1370 ش المطبعة : مؤسسة إسماعيليان، الناشر : مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع – قم .

8) **الخزازي** ،محسن (معاصر) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، الطبعة : الخامسة ،سنة الطبع : 1418، المطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

9) **الخطيب البغدادي**،(ت 463 هـ) تاريخ بغداد ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : 1417 – 1997 م ، مكان الطبع والنشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

10) **الخميني** ، مصطفى(ت 1398 هـ) تفسير القرآن الكريم ، تحقيق : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : جمادي الثاني 1418 – 1376 ش ، المطبعة : مطبعة مؤسسة العروج ، الناشر : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني .

11) **د. زهير بيطار** (معاصر)، الإمامة تلك الحقيقة ، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : 1422طبع :دار السيرة – بيروت، نشر : دار السيرة – بيروت

12) **الراغب الأصفهاني** (ت 502 هـ) مفردات غريب القرآن ، الطبعة : الثانية، تاريخ الطبع : 1404 نشر : دفتر نشر الكتاب.

13) **السبحاني** ، جعفر (معاصر) ، الإلهيات ، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : 1409 – 1989 م،طبع و نشر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان.

14) **السبحاني** ، جعفر(معاصر) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : 1421، طبع ونشر : مؤسسة الإمام الصادق (ع) ــ قم

15) **السبزواري**، الملا هادى (ت1300هـ) شرح الأسماء الحسنى ، الناشر : منشورات مكتبة بصيرتي – قم – ايران ، الطبعة الحجرية.

16) **السمرقندي** ،أبو الليث 383، تفسير السمرقندي ، تحقيق ،د.محمود مطرجي، طبع:بيروت – دار الفكر، نشر : دار الفكر

17) **السيوطي** جلال الدين : عبدالرحمن ابن أبي بكر (ت911 هـ) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني : القاهرة ، سنة الطبع :1967م .

18) **الشيرازي** ،ناصر مكارم (معاصر) ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكتبة أهل البيت عليهم السلام الكومبيوترية .

19) **الصدر** ،محمد باقر(ت 1402 هـ) فلسفتنا ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : 1425 – 2004م ، المطبعة : الأمير ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي.

20) **الصدوق** (ت381 هـ) معاني الأخبار ، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري سنة الطبع : 1379 – 1338 ش الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

21) **الصدوق** (ت381 هـ) الاعتقادات في دين الإمامية ، تحقيق : عصام عبد السيد ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : 1414 – 1993 م ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان

22) **الصغير** ، محمد حسين علي(معاصر) ، المباديء العامة لتفسير القرآن الكريم، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1420هـ – 2000م ،دار المؤرخ العربي ، بيروت– لبنان

23) **الصفار** ، محمد بن الحسن (ت 290 هـ) ،بصائر الدرجات ، تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي سنة الطبع : 1404– 1362 ش المطبعة : مطبعة الأحمدي – طهران الناشر : منشورات الأعلمي – طهران

24) **الطباطبائي** ، محمد حسين (ت 1412هـ) ، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة

25) **الطباطبائي** ، محمد حسين (ت 1412هـ) القرآن في الإسلام، تحقيق : تعريب السيد أحمد الحسيني، المكتبة الكومبيوترية ، مكتبة أهل البيت عليهم السلام .

26) **الطبري** ، إبن جرير(ت 310هـ) جامع البيان ،تقديم : الشيخ خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار، تاريخ الطبع : 1415 – 1995 م، طبع ونشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

27) **الطبري** ، إبن جرير (**ت** 310 هـ) تاريخ الطبري ،مراجعة وتصحيح وضبط : نخبة من العلماء الأجلاء، طبع ونشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان،قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن في سنة 1879 م.

28) **الطريحي** (ت1085 هـ) مجمع البحرين، تحقيق : أحمد الحسيني، الطبعة : الثانية، تاريخ الطبع 1408 – 1367 ش، طبع ونشر : مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

29) **الطوسي**(ت 460 هـ)تهذيب الأحكام ، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان الطبعة : الرابعة سنة الطبع : 1365 ش ، المطبعة : خورشيد الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران .

30) **الطوسي**(ت 460 هـ) التبيان، تحقيق : تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي الطبعة : الأولى سنة الطبع : رمضان المبارك 1409 المطبعة : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي الناشر : مكتب الإعلام الإسلامي

31) **الطوسي**(ت 460هـ) مصباح المتهجد ، الطبعة : الأولى ، تاريخ الطبع : 1411 – 1991 مطبع ونشر : مؤسسة فقه الشيعة – بيروت – لبنان

32) **عاشور** ، علي(معاصر) ، الولاية التكوينية لآل محمد (ع) ، مكتبة أهل البيت الكومبيوترية

33) **العلامة الحلي**(ت 726 هـ)الرسالة السعدية ،تحقيق : إشراف : السيد محمود المرعشي ، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، الطبعة : الأولى المحققة ،سنة الطبع : 1410، المطبعة : بهمن – قم الناشر : كتابخانه عمومى حضرت آية الله العظمى مرعشي نجفي – قم .

34) **العلامة المجلسي**(ت1111 هـ) بحار الأنوار ،تحقيق ، محمد تقي اليزدي ، محمد الباقر البهبودي، الطبعة : الثالثة المصححة ، تاريخ الطبع : 1403 – 1983 م ، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

35) **الفيض الكاشاني** (ت 1091هـ) التفسير الصافي ، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : رمضان 1416 – 1374 ش ، المطبعة : مؤسسة الهادي – قم المقدسة الناشر : مكتبة الصدر – طهران.

36) **القمي** ، علي بن إبراهيم (ت329 هـ)، تفسير القمي ، تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري سنة الطبع : 1387 ، المطبعة : مطبعة النجف ، منشورات مكتبة الهدى

37) **الكليني** ، محمد بن يعقوب(ت 329هـ) الكافي، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، الطبعة : الخامسة، تاريخ الطبع : 1363 ش، مطبعة : حيدري، دار الكتب الإسلامية – طهران.

38) **اللواساني** ، حسن الحسيني(ت 1400 هـ) ، نور الأفهام في علم الكلام ،تحقيق :السيد ابراهيم اللواساني، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : 1425، طبع ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة964-470- 129 .

39) **المازندراني** مولي محمد صالح(ت 1081 هـ)شرح أصول الكافي، تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : 1421 - 2000 م، طبع ونشر : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

40) **المظفر** ،محمد رضا(ت1381 هـ) عقائد الإمامية : ص127تقديم : الدكتور حامد حفني داود|||انتشارات أنصاريان - قم- ايران|| : ص 127 مقتبس من كتاب كشف الغطاء ص 5 للشيخ الكبير كاشف الغطاء .

41) **المفيد** ، محمد بن محمد بن النعمان (ت 413هـ)الاختصاص ،تحقيق : علي أكبر الغفاري ، السيد محمود الزرندي ، الطبعة : سنة الطبع : 1414 - 1993 م ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان .

42) **المفيد** (ت 413 هـ) تصحيح اعتقادات الإمامية ، تحقيق : حسين درگاهي ، الطبعة : الثانية سنة الطبع : 1414 - 1993 م، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

43) **مقاتل بن سليمان** (ت 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : أحمد فريد، الطبعة الأولى : الأولى، تاريخ الطبع : 1424 - 2003م مكان الطبع : لبنان - بيروت طبع ونشر : دار الكتب العلمية،دار الكتب العلمية.